# التخطيط الحضري وتفادي وتخفيض مخاطر الكوارث

في الثالث عشر من أكتوبر من كل عام، تحتفل دول العالم "باليوم العالمي لتخفيض مخاطر الكوارث" والذي أطلقته الأمم المتحدة في عام 1989، بهدف رفع مستوى الوعي والاهتمام بين الدول والمنظمات الإقليمية والوطنية والمحلية وعموم السكان بأهمية العمل على تفادي والحد من وتخفيض مخاطر الكوارث بأنواعها المختلفة وأضرارها على الناس وسلامتهم وسلامة ممتلكاتهم ومستوطناتهم البشرية التي يعيشون فيها.

ربما لا يكون من باب المبالغة إذا قلنا بأن فرص الوقاية والحد من مخاطر العديد من الكوارث الطبيعية وتلك التي تحدث بسبب أفعال أو أخطاء بشرية، تبدأ وتنتهي بالتخطيط الحضري. ويعني هذا الأمر بأنه من الممكن خلال مرحلة التخطيط الحضري الجيد والواعي للمستوطنات البشرية تحديد المصادر الممكنة لمخاطر مختلف الكوارث واتخاذ القرارات التنموية المناسبة التي من شأنها تفادي أو تقليص فرص أو حدة تعرض المستوطنات البشرية للعديد من تلك الكوارث.

التخطيط الحضري هو علم وممارسة مهنية مرتبطة بتنظيم وتوجيه "التنمية المكانية" وكيفية استخدام المجتمعات والمستوطنات البشرية للأراضي للإستيفاء باحتياجاتها الحياتية والتنموية الحالية والمستقبلية بالشكل الذي يمكنها من تحقيق أعلى مستويات الاستدامة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية المتكاملة، وفي ظل مجتمعات تتمتع بالصحة والأمن والرخاء والرفاه العام، ولتحقيق ذلك يجب أن تأتي حماية المستوطنات البشرية من الكوارث المحتملة في مقدمة الأهداف التخطيطية في كافة الدول والمجتمعات، بل يجب أن تدمج ضمنيا في جميع الخطط الحضرية والسياسات والممارسات والمشاريع الحضرية.

الكوارث وكما هو معلوم تأتي من مصدرين عامين أساسيين هما إما كوارث طبيعية تحدث بمسببات وتحول الظروف وعوامل البيئة الطبيعية وإما بسبب الفعل البشري الناتج عن أخطاء أو متعمدا كما ذكرنا سابقا. ومع الزيادة الكبيرة والمستمرة في معدلات التحضر عالميا والنمو المضطرد في أعداد سكان العالم في المدن والمناطق الحضرية بالإضافة إلى ظهور الأعراض المدمرة الناتجة عن ظاهرة التغير المناخي على الأقاليم المختلفة في العالم، تزداد أهمية الحاجة إلى التخطيط الحضري الواعي والقائم على التحديد العلمي والتاريخي والمستقبلي الدقيق لفرص ومخاطر الكوارث الممكن حدوثها واتخاذ القرارات التخطيطية التي من شأنها أن تعين على تفادي التعرض للكوارث والتقليل من آثارها السلبية على الناس والممتلكات العامة والخاصة على حد سواء.

للتعريف بحجم بعض المخاطر المحتملة للكوارث على مختلف مناطق العالم، على سبيل المثال تشير البيانات إلى أنه في الوقت الذي زاد عدد سكان العالم منذ عام 1970 حتى اليوم بنسبة 89% نجد بأن نسبة السكان المعرضين للفيضانات النهرية قد زادت بنسبة 120% ونسبة السكان المعرضين لعواصف السايكلون الساحلية قد زادت نسبة 195%، ويعيش اليوم أكثر من نصف سكان المدن الكبرى (من 2 إلى 15 مليون نسمة) في العالم في مناطق تعتبر نشطة وخطرة زلزاليا. وفيما يلي نستعرض بعض أصناف الكوارث ودور التخطيط الحضري في التصدي لها استباقيا ومنع وتقليل وقوع الأضرار الناتجة عنها.

الكوارث الناتجة عن الفيضانات هي الأكثر حدوثا وتكرارا حول العالم ويترتب عليها خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، في العديد من الحالات يعود السبب الرئيس في وقوع تلك الخسائر إلى القيام بالتنمية الحضرية والبناء بشكل قانوني أو عشوائيا في مواقع ومناطق خطرة ومعرضة للغمر كبطون الأودية و ضفاف الأنهار ومناطق المصبات المائية وغيرها. يعتمد التخطيط الحضري الجيد على تحديد جميع المناطق التي من الممكن أن تتعرض الى الفيضانات وتقسم إلى مستويات خطورة حسب درجة احتمالية الغمر ومستوى ارتفاع المياه المحتملة بناءا على بيانات معدلات سقوط الأمطار التاريخية لمدد زمنية طويلة قد تصل إلى خمسين سنة أو أكثر أو أقل، ويتم استخدام مثل هذه المخططات في تحديد مناطق النمو الحضري والمستقبلي وفي ضوء هذه البيانات يتم تفادي المناطق الخطرة بعدم السماح بالبناء عليها وتستخدم كمناطق طبيعية مفتوحة على سبيل المثال.

في السنوات الأخيرة ارتفعت حالات وحدة حرائق الغابات في أغلب قارات العالم خصوصا خلال فترة الصيف بسبب الجفاف المستمر وارتفاع درجات الحرارة وهبوب الرياح التي تسهل من انتشارها على نطاقات جغرافية واسعة، وتنتج عن هذه الحرائق خسائر وأضرار بيئية ومادية وبشرية كبيرة، الوعي بمخاطر وفرص حدوث حرائق الغابات في مختلف المواقع وإعداد المخططات التي تحدد تلك المواقع والتي على أساسها يتم توجيه مناطق النمو الحضري المستقبلي بعيدا عنها يعتبر هذا أمرا ومتطلبا تخطيطيا أساسيا في ظل تزايد الحالات في العديد من مناطق العالم.

الانزلاقات الأرضية تعتبر مصدرا رئيسيا آخرا للعديد من الكوارث التي يذهب ضحيتها الكثير من الناس في مختلف مناطق العالم، حيث تؤدي العوامل الطبيعية كسقوط كميات كبيرة من الأمطار أو حدوث هزات أرضية خفيفة إلى تحرك طبقات التربة مدفوعة

بقوى الجاذبية الأرضية في مناطق تمتاز بالميول الحادة وينتج عن ذلك دمار المباني و جرفها إلى المناطق المنخفضة مخلفة خسائر كبيرة. يجب ومن خلال التخطيط الحضري يتم تحديد المناطق التي من الممكن أن تكون عرضة للإنزلاقات والنظر في امكانية استصلاحها بكلف اقتصادية معقولة أو استثنائها من مناطق النمو المستقبلي تجنبا لحدوث الكوارث بعد البناء عليها.

لقد جاءت ولادة التخطيط الحضري الحديث في القرن التاسع عشر كاستجابة مباشرة ولمعالجة سوء الأحوال والظروف الصحية في المدن الكبرى خلال فترة الثورة الصناعية ونتج عنها انتشار الأوبئة وتفشي الأمراض بأنواعها المختلفة، لاسيما الأمراض المعدية كالكوليرا والتيفوئيد وغيرها من أوبئة كانت سببا مباشرا في موت الآلاف من البشر، وذلك من خلال التحكم في التكدس في الوحدات السكنية والتخطيط للمرافق الصحية كشبكات المياه العذبة والصرف الصحي وادارة النفايات بأنواعها، وكذلك توفير التهوية والإضاءة الكافية في المنازل والأحياء والمناطق التي يعيش فيها السكان بالإضافة إلى المناطق المفتوحة والخضراء لتعزيز صحة الفرد.

يتعدى دور التخطيط الحضري هذه الأمثلة والحالات التي قمنا بالحديث عنها إلى أنواع أخرى محتملة من الكوارث، على سبيل المثال تلك الناتجة عن حوادث مفاعل الطاقة النووية وغيرها من حوادث، وكما يقوم المخططين الحضريين بالمشاركة في اعداد استراتيجيات وخطط الاستعداد والتعامل مع حالات الطوارئ المختلفة.

**د. سالم علي الشافعي**

**أستاذ وخبير التخطيط الحضري**

**salemalshafiei@gmail.com**